سلسلة محاضرات مفرغة

(٠٨)

محاضرة
المنهجية في طلب العلم
(التأصيل في طلب العلم)

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

حفظه الله تعالىٰ

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

[أشرطة مفرغة]

أعد هـٰذه المادة

سالم بن محمد الجزائري

(أصل التفريغ لـ: www.alsalafia.com)

بسم الله الرحمـٰـن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم اهدنا في من هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا في من توليت.

اللهم إنّا نسألك صلاحا في قلوبنا وصلاحا في أعمالنا وصلاحا في أقوالنا.

اللهم وفقنا لما تحب وترضى، واجعلنا في مسيرنا متبعين لنبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هٰذا اليوم أو هٰذه الليلة نذكر مقدمة مهمة نافعة إن شاء الله تعالى في طريق طلب العلم، والدّاعي لها أنّنا نرى إقبالا من الشّبيبة -بارك الله فيهم- ومحبة لطلب العلم؛ لكنّ كثيرا منهم لا يعرفون طريق الطّلب؛ كيف يطلب العلم؟ بعضهم يُمضي أوقاتا طوالا ربما سنوات؛ يُمضيها ولا يحصّل من العلم ما حصله غيره ممن أنفذ سنوات مثل السّنوات التي أنفذها ذاك، والسبب هو أنه لم ينهج في طلبه للعلم النهج الصحيح، النهج الذي يحصل معه مبتغيه -أعني طالب العلم- يحصّل طرفا مما كتب الله جل وعلا له، طرفا ينفعه، طرفا ثابتا مؤصلا يمكنه أن ينقله إلى غيره نقلا واضحا لا شك معه ولا ارتياب.

كثير من الشباب يقرؤون قراءات متنوعة، تارة في الحديث، وتارة في التفسير، وتارة في الفقه، يسمعون ويحضرون مجالس أهل العلم؛ ولكنّهم إذا رجعوا إلى أنفسهم فيمن حضر سنة أو حضر سنتين، إذا رجع لنفسه رأى أنه لم يحصّل شيئا كثيرا، لم يفهم المادة التي ألقيت عليه، أو لم يؤسِّس عنده —حضورُه- علما مؤصلا يمكن معه أن ينطلق ويقيس على منواله وينهج نهجه.

والسبب انعدام المنهجية الصّحيحة في طلب العلم؛ لأنّ طالب العلم لابد أن يسلك في طلبه منهجا واضحا محدّدا، إذا لم يسلكه تخلّف عن الطريق، ولذلك نرى أنّ كثيرين ملّوا من طلب العلم، سنين أمضوها ثم ملّوا وتركوا، تمضي عليهم سنون أخر فيرجعون عواما أو قرّاءً لا يعدون ذلك.

ونريد من طالب العلم المقبل أن يتحلّى بخصلتين:

الأولى: أن يكون سائرا على منهج الطلب الذي سار عليه من قبلنا من أهل العلم، وصاروا علماء بعد مسيرهم ذلك السير.

والثاني: أن يوطِّن نفسه على أن يكون باذلا للعلم وقتَه، وأنْ لا يملّ مهما كان.

روى الخطيب البغدادي رحمه الله تَعَالَىٰ في كتابه الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: أنّ أحد طلبة الحديث رام طلبه ورغب فيه وحضر عند الأشياخ وجلس مجالسهم ثم لما مرّ عليه الزّمن رأى أنّه لم يستفد شيئا و لم يُحصّل كبير علم، فقال: إنّي لا يناسبني هٰذا العلم. وترك العلم لظنّه أنّ عنده في فهمه ركودة، أو أنّه لا يصلح لطلب العلم.

قال: فلما كان ذات يوم -أي بعد أن ترك بمدة- مرّ على صخرة يقطر عليها ماءٌ قطرة تلو قطرة، وقد أثر ذلك الماء في تلك الصخرة فحفر فيها حفرة، فتوقف معتبرا ومتأملا ومتدبرا، فقال: هٰذا الماء على لطافته أثّر في هٰذه الصخرة على قساوتها، فليس عقلي وقلبي بأقسى من الصّخر وليس العلم بألطف من الماء. فعزم على الرجوع إلى طلب العلم فرجع ونبغ وصار ممن يشار إليهم فيه.

هٰذا يفيدك أنّه يحتاج طالب العلم إلى العزيمة وأنْ لا يملّ، لا يقول: أنا درست ودرست فما استفدت. ليرجع إلى السبب، ليس السبب في طبعه، في أكثر الشباب أو أكثر المقبلين على طلب العلم، ليس السبب هو أنّهم لا يفهمون، كثير منهم يفهم، ولكن السبب في عدم تحصيله للعلم أنّه لم يسلك طريقه، و لم يأخذه على المنهاج الذي به تخرّج من سبقنا من أهل العلم، هٰذا الطريق سهل ميسور، وهو أسهل من الطريقة التي يسلُكُها الأكثرون اليوم.

إذا تبيّن هٰذا يحضر هنا السؤال المهم وهو يُرَدَّد كثيرا؛ يردده كثير من الشباب ويسألون عنه ألا وهو:

ما هي المنهجية الصحيحة في طلب العلم؟

كيف يسير طالب العلم في هٰذا الطريق على وفق المنهجية التي إذا وفّق الله جلّ وعلا العبد معها صار طالب علم ووفق إلى دراسته؟

وهو سؤال مهم للغاية، وحضور مجالس العلم مفيد فوائد جمّة، ومن أعظمها أن يتخرّج طالب العلم منها -من تلك الحِلق- أن يتخرج فاهما لما أُلقي عليه ويستطيع به -أي بما فهم- أن يُفهم غيره.

أولا يحتاج طالب العلم إلى أن يكون عنده أخلاق ضرورية وصفات ملازمة له في مسيره لطلب العلم:

أولها وأعظمها: أن يكون مخلصا لربّه جلّ وعلا في طلبه للعلم؛ لأنّ طلب العلم عبادة ((**والملائكة** -كما ثبت في الحديث الصحيح [1] -**تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع**))، الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، فهٰذه العبادة لابد لقبولها ولتوفيق الله جلّ وعلا لصاحبها أن يكون مخلصا فيها لله جلّ وعلا، يعني لا يطلب العلم لنيل مرتبة دنيوية، لا يطلب العلم

---

(1) **سنن الترمذي**: كتاب العلم عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم(٢٦٨٢) .

سنن ابن ماجه: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم (٢٢٣) .

قال الشيخ الألباني: صحيح.

الشرعي؛ علم الكتاب والسنة لنيل جاه أو سمعة، أو ليصبح معلما، أو ليصبح محاضرا أو ليشار إليه بالبنان، أو ليكون ملقيا لدروس ونحو ذلك؛ لا؛ بل يكون قصده التعبّد لله بهٰذا وأن يتخلص من الجهالة فيعبد الله جلّ وعلا على بصيرة.

إذن الإخلاص في طلب العلم أن يكون المراد وجه الله جلّ وعلا لا عرضا من الدنيا -بأنواع تلك الأعراض-، ويكون ناويا أن يرفع الجهالة عن نفسه.

سُئل الإمام أحمد قيل له: كيف الإخلاص في العلم؟ قال: **الإخلاص فيه أن ينوي رفع الجهالة عن نفسه.** لأنّه لا يستوي عالم وجهول، قال جلّ وعلا: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[الزمر:٩]، وقال جلّ وعلا في آية المجادلة: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[المجادلة:١١].

فإذن الله جلّ وعلا فضّل أهل العلم على غيرهم، والذي يطلب العلم ليعبد الله على بصيرة، ليُخلِّص نفسه هو من الجهالة، وليكون في حياته موافقا لما شرع الله جلّ وعلا، هٰذا قد أخلص، قد أخلص؛ لأنّه قصد وجه الله جلّ وعلا، قصد أن ينجو من أن يكون متبعا لهواه جاهلا مقلدا.

الإخلاص أول تلك الشرائط وأول تلك الآداب والصفات.

والصفات والآداب كثيرة صنّفت فيها كتب ومؤلفات بعضها صغير وبعضها كبير، لكن نذكر منها ما يهم في هٰذا المقام.

ثانيها: أن يكون رفيقا مترفقا في طلب العلم؛ لأنّ النبي ﷺ أخبرنا بخبر عام فقال: «**إنّ الله يحب الرفقَ في الأمر كلّه**»[1] يحب الرفق في الأمر كلّه، وهٰذا ظهور في العموم، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إنّ الرفق ما كان في شيء إلا زانه**»[2] ويدخل في ذلك العلم وطلب العلم. كيف يكون الترفق؟ يكون بأنْ لا تروم العلم جملة، كما قال لكَ ابن شهاب الزهري الإمام التابعي المعروف قال: **من رام العلم جملة ذهب عنه جملة، وإنّما العلم يطلب على مرّ الأيام واللّيالي.**

وقد أفصح عن هٰذا المعنى الشاعر حيث قال:

اليوم علم وغدا مثله ... من نخب العلم التي تُلتقط
يحصّل المرء بها حكمة ... وإنّما السيل اجتماع النقط

---

(1) **مسلم**: كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، حديث رقم (٢١٦٥).

(2) **مسلم**: كتاب البر والصلة وألآداب، باب فضل الرفق، حديث رقم (٢٥٩٤).

الرفق مطلوب، كيف يكون الرفق؟ بأن لا تروم العلمَ جملة.

بمعنى: واحد يريد أن يروم علم **التفسير** يذهب يقرأ تفسير ابن جرير، تفسير ابن جرير فيه كلّ التفسير، هٰذا رام العلم جملة، ما يحصّل، يبدأ وينتهي من تفسير ابن جرير، وإذا سألته لم يعلق بذهنه من التفسير إلا القليل، يتذّكر أنه قرأ كذا وقرأ كذا ولكنه لا يُفصح لك عن تفسير آية على الوجه المطلوب.

إذن كيف يكون؟ لا بد من التدرّج، والتدرج سنّة لابد منها.

كذلك رجل يريد أن يطلب علم **الحديث** يذهب إلى نيل الأوطار يبدأ به، أو فتح الباري يقول: أنا خلاص انتهيت من مجلد من فتح الباري، هٰذا الرجل اعلم أنه لن يحصِّل العلم على ما كان عليه أهل العلم، فيكون قارئا مثقفا عنده معلومات متناثرة؛ لكن ليس هو العلم الذي قد أُصِّل والذي بعده سيكون عالما إنْ وفقه الله جلّ وعلا.

كذلك في **الفقه** ماذا قرأت في الفقه؟ يقول: أنا أقرأ في المغني، أنا أقرأ في المجموع، هٰذا يصدق عليه أنه لم يأخذ بالترفّق؛ رام العلم جملة، المغني والمجموع والكتب الكبار هٰذه إنّما يعي مسائلها الكبار من أهل العلم؛ لكن طالب العلم المبتدئ لا يقرأها قراءة من أولها إلى آخرها، لا شك أنّه قد يحتاج إلى بحث مسألة بخصوصها يرجع فيها إلى المطوّلات؛ لكن لا يقرأها سردا يمرّ عليها.

أيضا لا يهتم طالب العلم -وهٰذا من **فروع الترفق**- لا يهتم بالتفصيلات فإنه إذا كان في طلبه للعلم اهتم بدقيق المسائل واهتم بالتفصيلات فإنه ينسى ولن يحصّل علما؛ لأنّه لم يؤصَّل و لم يبن القاعدة التي معها تُفهم تلك التفصيلات، بعضنا يذهب إلى دروسٍ مفصلة جدا، يمكث أصحابها في كتاب سنين عددا طويلة ما انتهوا منه، أو في الباب الواحد يجلسون أشهر ونحو ذلك، ويظنّ أنّ هٰذا يحصل معه علما، لا، هٰذه الطريقة ليست بطريقة منهجية؛ لأنّه لم يترفق صاحبها فيها، ولقد قال جلّ وعلا: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[آل عمران:٧٩]، ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ فسّرها أبو عبد الله البخاري رحمه الله رحمة واسعة في صحيحه[1] قال: الرباني هو الذي يُربي الناس بصغار العلم قبل كباره. هٰذا الرّباني في العلم والتدريس هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره.

---

(1) البخاري: كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل.

يَشْرُف المدرس وطالب العلم إذا درّس أن يذكر كل ما يعلم في المسألة، أن يذكر بعد تحضير واسع كل ما وصل إليه تحضيره؛ لكن هٰذا شرف له؛ ولكنّه ليس بنافع لمن يعلِّم؛ لأنه هو يستعرض ما علم، والعالم إنما يُعطي ما يحتاج إليه السّامع، لا يعطي ما هو فوق مقدرة فهم السامع، يُعطي ما يحتاج إليه السامع.

إذن فلابد من الترفق، كيف يكون الترفق؟ سيأتي جوابه في بيان المنهج الصحيح في التدرّج في طلب العلم.

الخصلة الثالثة: أن يكون مواصلا في طلب العلم، يجعل للعلم أعزّ أوقاته وأحلاها، لا يجعل للعلم الأوقات الميّتة، الأوقات التي كلّ فيها ذهنه وضعف فيها فهمه يجعلها للعلم، يجعلها للدرس، هٰذا قد خالف وما نَصح نفسه.

إذن العلم تعطيه من وقتك أعزّ الأوقات التي فيها صفاء الذهن وقوة الذهن والفراغ.

وهٰذا إنما يكون بضميمة أمر آخر ألا وهو أن يكون طالب العلم شغفا بالعلم ليلا ونهارا، يصبح مع العلم، ذهنه مشغول بالعلم، يُمسي كذلك، همّه العلم، إذا أراد أن ينام بجنبه كتاب ربما يحتاج فيه إلى مسألة.

ولهٰذا يقول بعضهم: إذا رأيتَ كُتب طالب العلم مرتّبة فأعلم أنه هاجِرٌ لها، إذا رأيتها مرتبة فاعلم أنه هاجرٌ لها، إذا أتيت على غفلة ودخلت مكتبة فلان من الناس ورأيتَ كتبه مرتبة، كلّ واحد في مكانه، معنى ذلك أنه ما يطالع، الأرض ما عليها كتاب، ولا بجنبه كتاب، وإذا كان عنده طاولة ليس عليها كتاب، هٰذا معناه أنّه يأخذ الوقت الذي يفعله بعض المثقّفين أصحاب المشاغل يقول وقت قراءة، طالب العلم ما عنده وقت يسمى وقت قراءة؛ لأنّ وقته كله في طلب العلم، يصبح ويمسي ذهنه مشغول بمسائل العلم، في فترة شبابه؛ الفترة الرّئيسة في عمره التي فيها يُحَصِّل يكون شغفا، هنا تتوزع الأوقات:

الأوقات الجليلة التي يقوى فيها ذهنه يختار لها العلوم التي تحتاج إلى كدّ ذهن مثل الفقه والأصول ونحو ذلك.

الأوقات المتوسطة يختار لها العلوم التي لا تحتاج إلى كدّ ذهن مثل التفسير الحديث المصطلح ونحو ذلك.

الأوقات التي يضعف فيها فهمه يختار فيها قراءة كتب الآداب، كتب الرجال، تراجم الرجال التاريخ ونحو ذلك، الثقافة العامة.

إذن هو منشغل دائما، أينما كان منشغل مع طلب العلم، دائما يفكر فيه، لا يسليه عن طلب العلم نزهة ولا صحبة.

ولهٰذا نرى أنه من أكبر ما يُعاب على بعض من يظنّ أنّه طالب علم أنّه يمضي الساعات الطوال في مجالس في قيل وقال وأحاديث لا تمتّ إلى العلم بصلة، هٰذا لا يكون طالب علم، وإنما يكون شيئا آخر بحسب ما أشغل به نفسه، أما طالب العلم فمشغول سَلواه وهواه ورغبته في طلب العلم، المجلس الذي فيه كلام عن مسائل العلم وبيان ما أنزل الله جلّ وعلا في كتابه أو قاله رسول الله ﷺ هٰذا مكان انشراح الصدر، ومكان سعة الصدر، أو مكان تعليم، أو مكان بيان للعلم الذي أنزله الله جلّ وعلا، هٰذا هو سعة الصدر ومكان راحته.

إذن فطالب العلم ينبغي بل يجب على أن يكون من خصاله الملازمة له أن يكون ملازما للعلم، لا يعطي العلم بعض الوقت إنما يعطيه كل الوقت أو جل الوقت، في فترة شبابه الفترة التي فيها تحصيل العلم.

ولهٰذا يقول بعض من تقدم: أعط العلم كلّك يعطيك بعضه. لأنّ العلم غزير مسائله كثيرة شتى، ولهٰذا كان بعض أئمة الحديث حُدِّث بحديث وهو على فراش الموت، فقال لكاتبه: أكتبه -هو على فراش الموت- علم حصّله في هٰذه اللّحظة، هٰذا يدلك على إخلاصه وعلى متابعته وقلبه شغف بذلك الشيء.

والإمام أحمد لما كان في مرضه الأخير كان ربما أنَّ؛ أصابه بعض الوجع فأنَّ أنين -يُخرج الأنين- فأتى بعض تلامذته فروى له بالإسناد أنّ محمد بن سيرين قول أنس بن مالك رضي الله عنهم كان يكره الأنين. قال: فما سُمع أحمد آنّا حتى مات.

هٰذه النفسية لطالب العلم وللعالم هي التي بها يجعل الله جلّ وعلا طالب العلم عالما في مستقبل أمره إن شاء الله تعالى نافعا، يكون همه مع العلم ليلا ونهارا، يستفيد ما يحتقر فائدة يأتي بها الصغير أو الكبير، بعضهم يأتيه من هو أصغر منه بفائدة فيستكبر عليه أو لا يصغي لها كلَّ سمعه، وهٰذا لأجل أنّه عظَّم نفسه على العلم، فإذا عظم نفسه على العلم فإنّه لا يكون من المحصّلين للعلم، بل إنّ العلم يكون مع الصغير ويفوت الكبير، بعض العلم يفهمه من هو أصغر ويفوت الأكبر فإذا وضحه له استفاد.

وهٰذا يذكر أهل العلم له المثل الواضح ألا وهو قصة سليمان مع الهدهد، فإنّ الهدد مع وضاعته قدْرا وذاتا ومع رفعة سليمان قدْرا وذاتا ومنزلة عند الله وعند الخلق قال له الهدهد: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[النمل:٢٢]، فعلمها الهدهد وجهلها سليمان عليه السلام، فهٰذا

استفاد منه أهل العلم ألا تتكبر على من أتاك بفائدة صغر أم كبر، يأتيك بفائدة يستشكل استشكالا أرعه سمعك لأنه يفتح لك بابا بذلك.

هٰذه الخصال الثلاث مهمة جدا لطالب العلم، وهناك غيرها كما ذكرت لك تطلبها من الكتب التي أُلفت في هٰذا الباب.

الآن نأتي للسّؤال المهم:

كيف يكون الترفق؟ كيف يكون التدرج في طلب العلم؟ أو ما هو المنهج في طلب العلم؟

الجواب: أنّ العلوم متنوعة مختلفة، العلوم الشرعية متنوعة ومختلفة:

- فمنها علوم أصلية.
- ومنها علوم مساعدة يسميها بعضهم علوم الآلة، ويسميها آخرون علوما صناعية.

فالعلوم الأصلية: هي علم الكتاب والسنة؛ يعني علم التفسير، علم الحديث، علم الفقه، ثم علم التوحيد، نخرجه من الكتاب والسنة لأجل عظيم منزلته؛ لأنّ كل هٰذه العلوم متفرعة ومفهومة من الكتاب والسنة.

إذن عندنا العلوم الأصلية لطالب العلم: التفسير، والتوحيد، والحديث، والفقه.

والعلوم المساعدة: هي أصول التفسير أو ما يسمونه بعلوم القرآن، أصول الحديث أو ما يسمى بمصطلح الحديث، أصول الفقه، النحو وعلوم اللغة.

ثم هناك تقسيم آخر:

- العلم منه أصول.
- ومنه مُلح.

الأصول: مثل هٰذه العلوم سابقة الذكر كلها التي ذكرت، الأصلية والمساعدة.

والملح: كالأخبار والتراجم والغرائب والقصص والتاريخ ونحو ذلك.

- **أولا: علم التفسير:**

علم التفسير تتدرج فيه، تتدرج فيه بأن تبدأ بتفسير مختصر جدا، تطّلع فيه على معاني كلام الله جلّ وعلا، وخاصة إذا كنت حافظا للقرآن فإنه يكون من أنفع الأشياء لك أن تمر على تفسير مختصر.

كان العلماء يعتنون بتفسير الجلالين في الأعصر المتأخرة، وهو نافع مفيد؛ لكن تحترز في قراءته على ما فيه من التأويلات، وقد صنّفه الجلالان: جلال الدين المحلّي وجلال الدين السّيوطي.

تمرّ فيه من أوله تأخذ المفصل حيث إنّك تسمعه كثيرا في الصلاة تفهم المعاني باختصار وهو كلـــه مجلدان صغار، فإذا مررت على خمسين صفحة أخذت المفصل كاملا فهمت المعاني التي تســـمعها في الصلاة، فيكون معك علم واضح.

كيف تعرف أنك فهمت التفسير حتى تنتقل إلى غيره؟

هنا الجواب: أن تستطيع أن تفسر السّورة على نفسك، مثلا تقرأ سورة ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ فقرأت تفسيرها في الجلالين، وفهمته. كيف تعلم أنك فهمته؟ تُغلق التفسير وتبدأ تفسر على نفسك، فإذا استطعت أن تفسّر بصواب وبدون تلكّؤ وبوضوح في فهم الآيات عند نفسك، فإنّك تكون قد درجت؛ فهمت تفسيرها ويمكن أن تنتقل بعدها إلى غيرها.

وهٰذه طريقة يأتي تفصيلها في غير التفسير.

هٰذا أولا تبدأ بتفسير الجلالين، بعد ذلك تنتقل إلى ما هو أعلى منه مثل تفسير الشيخ ابن سعدي، أو مثل تفسير البغوي، أو ابن كثير أو مختصراته إذا كان هناك مختصرات سالمة من المعارضات فترجع إليها، تمر عليها مرورا تعرف معه المعاني.

تكون المعلومات التي فيها التي هي أطول من الجلالين قد أتت ذهنك بعـــد فهمـــك لمـــا أورده الجلالان، -واضح-، فإذا أتت المعلومات الأكثر تكون المعلومات الأقل واضحة، لأنّك استطعت أن تفسِّر، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ فسّرتها على نفسك، بعد ذلك إذا قرأت ابن كثير، إذا قرأت البغوي ونحو ذلك من الكتب التي هي أكبر قليلا، بعد ذلك ستحس من نفسك أنك أدركت أكثر وهكذا، مع مرور الزمن تحس أنك قد نميّت فهمك لكلام الله جلّ وعلا.

♦ التوحيد:

التوحيد قسمان:

القسم الأول: العقيدة العامّة.

القسم الثاني: توحيد العبادة.

يعني علم التوحيد الذي ستدرسه إن شاء الله، ليس تقسيم للتوحيد المطلوب؛ توحيـــد الربوبيـــة والألوهية والأسماء والصفات، هٰذا تقسيم للتوحيد من حيث هو علم.

العقيدة العامة: أُلفت فيها كتب منها: لمعة الاعتقاد، ومنها الواسطية لشيخ الإسلام ابـــن تيميـــة، ومنها الحموية؛ الحموية ذكر بعض المسائل، ومنها العقيدة الطحاوية، وغير ذلك مما ذُكـــرت فيـــه مباحث الاعتقاد كاملة؛ يعني يذكرون مباحث الاعتقاد كلها، كل مباحث الاعتقاد مثـــل: الإيمـــان

بالله، أسمائه وصفاته وربوبيته وما يتعلق بذلك، والإيمان بالملائكة، الإيمان بالكتب، بالرسل، بــاليوم الآخر، أحوال القيامة، أحوال القبر، البعث، ما يحصل في عرصات القيامة، الجنة والنار، القدَر ومــا يتعلق به، ثم يذكرون تفاصيل الاعتقاد، مباحث أخر مثل الكلام في الأولياء وكراماتهم، مثل الكــلام في الصحابة رضوان الله عليهم، مثل الكلام في الإمامة وحقوقها، مثل الكلام في الأمــر بــالمعروف والنهي عن المنكر، مثل الكلام في الأخلاق ونحوها كما ذكر شيخ الإسلام في آخر الواسطية، هٰــذه تسمى عقيدة عامّة لأهل السنة والجماعة.

هٰذه تأخذها بالترتيب، تبدأ بكتاب مختصر تقرأه على شيخ.

التفسير لا يحتاج أن تقرأه على شيخ، إذا أشكل عليك شيء فسل فيه أو عنه.

أما التوحيد فلابد من قراءته، تأخذ مختصرا مثل لمعة الاعتقاد إن حفظتها فحسن وهو المراد، وإن لم يتيسر فكررها حتى تفهم مباحثها.

من الأغلاط التي تواجه طلاّب العلم أنهم يأخذون كتابا ما استعرضوا مسائله ولا مباحثه؛ يعــني يحضر يعرف الموضع الذي يحضر فيه عند المعلم، وهٰذا غلط؛ بل الواجب أنْ تعرف المباحث التي تكلم عنها الكتاب.

لمعة الاعتقاد تمر عليها من أوله إلى آخره، تعرف ترتيبه والمسائل التي تعرض لها ونحو ذلك، ثم بعد ذلك تقرأه على معلم أو على شيخ.

كتاب في أوائل الكتب لمعة الاعتقاد، مسائله واضحة مختصرة، إذا شرح لك وقرَّرَ عليه تقريــرات كتبتها، بعد ذلك اضبطه، فإذا ضبطت هٰذا الشرح وعرفت من نفسك وأنست أنك أحكمتــه، أو أحكمت أكثره تنتقل بعده إلى الواسطية.

تأخذ أيضا الواسطية على معلم. ثم كيف تعلم من نفسك أنّك فهمت الباب؟

بعض الناس يقرأ فإذا أتى يعبر عما قرأ إما أن يعبر بعبارة غير شرعية غير علمية، وإمــا أنْ يعــبر خطأ؛ يكون فاهما أصلا خطأ من جراء قراءته، لِمَ؟ لأنّه لم يختبر نفسه، فأنت إذا قرأت الفصل مــن الواسطية مع شرحه، تبدأ تدرسه على نفسك؛ تعبر عنه، تقول مثلا: قال شيخ الإسلام ابن تيميــة في الواسطية في أولها مثلا (فَهٰذا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ [الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَــامِ السَّــاعَةِ]: أَهْــلِ السُّــنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)، تبدأ تشرح الفرقة الناجية من هم؟ أهل السنة والجماعة من هم؟ حتى تعرف من نفسك أنك أدركت معاني هٰذا الكلام، إذا أتى في أثنائه درست الكلام عن الصفات مثلا صفة العلو لله جلّ

وعلا الاستواء على العرش تذكر ما تعرض له الشارح من المسائل، ما تأخذها سماعا أو قراءة، تقول أنا قرأت الواسطية، هٰذا لا تُحصِّل معه العلم بل لابد أن تدرس.

وهٰذا الذي يسميه أهل العلم: **معارضة العلم ومدارسة العلم، ومذاكرة العلم**، له ثلاثة أسماء معارضة، مذاكرة، مدارسة، ويستعمل أهل الحديث له لفظ (المذاكرة) يقول: ذاكرته بكذا، كما مرّ في بعض أخبار الإمام أحمد أنه صلى العشاء هو وأبو زرعة الرازي؛ عبيد الله بن عبد الكريم الإمام المعروف، صليا العشاء سويا ثم دخلا إلى المترل فما فُوجِئا إلاّ بآذان الفجر مكثا الليلة يتذاكران، كيف يتذاكران؟ هٰذا يذكر إسناد وذاك يذكر المتن، هٰذا يذكر المتن ما تكلم عليه إذا كان عليه فقه أو نحو ذلك، يتذاكران العلم هٰذا فيه تثبيت له، أما أنْ تحضر عند الشيخ والمعلم وتسمع وتذهب، وعهدك بالدرس آخر ما سمعته، هٰذا لا يحصّل علما، تسمع وتستفيد ومأجور إن شاء الله لكن لا تنمّي العلم ولا تؤسسه عند نفسك.

فإذن إذا سمعت، قرأت الشرح، فهمت معنى الكلام، علامة فهمك عند إغلاق الكتاب أنْ تبدأ تشرح وتوضح المسائل، إذا كنت فاهما مائة في المائة ستوضح كل المسائل لن يكون في ذهنك اشتباه، إذا كان فهمك ناقصا أو مضطربا أو مشوشا، ستلاحظ أنك أثناء الشرح لهٰذه الكتب الأساسية التي هي أصول، ستلاحظ أنك اضطربت، تتكلم ما تعرف كيف تعبِّر؛ اختلطت عليك المسألة، مع أنّك كنت حين أمررته، ظننت أنك فاهما له؛ ولكن عند الاختبار يُكرم المرء أو يهان، فتنظر إلى نفسك فتعرف أنك فاهم أو لست بفاهم، فإذا ما استطعت أن تشرح هٰذا المقطع أو تلك الجملة فمعنى ذلك أنّك تحتاج إلى إعادها، فلا تنتقل إلى ما بعدها إلا بعد إحكامها.

سابقا طلاب العلم يحضرون عند الشيخ مثلا يدرّسهم، في الليل مدارسة لما درسوه، كل واحد يغلق الكتاب ويشرح لصاحبه، والآخر يشرح له، ومن الحسن في طلب العلم أن تتخذ لك صاحبا واحدا، لا تكثر، صاحب واحد لا تكثر، فهٰذا الصاحب تراجع أنت وإياه العلم؛ تشرح له ويشرح لك تبين له خطأ فهمه ويبين لك خطأ فهمك، وتتساعدان في هٰذا.

إذا انتهيت من الواسطية تأتي الدرجة الثالثة، بعد فهم الواسطية تماما تأتي الدرجة الثالثة؛ تنتقل إلى الحموية، أو إن شئت تنتقل إلى شرح الطحاوية، ما فيه حرج.

تستطيع بعد فهم الواسطية تماما -إذا فهمت الواسطية تماما- تستطيع أن تأتي لكتب شيخ الإسلام تمرّ عليها تفهمها بإذن الله تعالى.

لكن من العجب أن يأتي بعضٌ منّا ويفتح الفتاوى ويقرأ فيها، وهو ما أحكم أصول علم الاعتقاد، جاء به نوم تعبان كليل ما عنده إلا عشرة دقائق أو ربع ساعة، قال: خلِّي نقرأ في الفتاوى. يفتح ويقرأ، ثم بعد ذلك يصبح يجادل في بعض المسائل وهو ما فهمها أصلا، وهٰذا كثير وواجهناه، كثير يأتي يقول قال شيخ الإسلام كذا، وإذا راجعت وجدت أنّ شيخ الإسلام ما قاله.

لأجل أنه أعطاه وقتا مقتطعا ليس بجيد.

الثاني لأجل أنّه ما عنده أصول تلك المسألة؛ يعني أصول تلك المسألة ليست ثابتة عنده، فيكون فهمه لكلام العلماء ليس بقوي.

الأعظم من ذلك أنْ لا يكون أحكم الواسطية أو الحموية أو لمعة الاعتقاد، أحكمها فهما، ويذهب إلى كتب السلف كالسنة لعبد الله بن الإمام أحمد، أو الإيمان لابن منده، أو كالتوحيد لابن خزيمة، أو كالتوحيد لابن منده، ومثل ذلك من الكتب الكبار التي ليست المسائل فيها مؤصلة كما أُصلت في كتب المتأخرين.

لكن إذا أصّلت المسائل ثم ذهبت إلى تلك الكتب فسوف يكون استدلالك بكلام السلف على أتم وجه، فستفهمه على أتم فهم إن شاء الله تعالى؛ لأنّ الكلمة من كلام السلف سوف تكون في بالك منوطة بالمسألة التي كانت عندك أصولها في تمام الوضوح، ترتبط الكلمة واضحة عندك معناها، مرادهم بها، محترزاتها، ما تحوى.

من أمثلة ذلك مثلا الكلمة التي هي في أول لمعة الاعتقاد، حيث قال صاحب اللمعة في أولها في الإيمان بالأسماء والصفات قال: بـ(لا كَيْفَ ولا مَعْنَى)؛ هٰذه يأتيها طالب العلم (ولا مَعْنَى)، هٰذه إذا ما فهمها على حقيقتها فإنه إذا أتى إلى كتب السلف...[1] ثم تحيل على علمائنا الكبار لأنّ عندهم من العلم ما ليس عند غيرهم، فإن لم يكن عندك من الوقت ما يناسب أوقاتهم ونحو ذلك فلا بأس أن تلحق بغيرهم من طلبة العلم ممن هم من أساتذتنا ولكن بشروطه المعتبرة.

الثالث: الحديث:

أول ما يبدأ طالب العلم بحفظ الأربعين النووية وربما لو سألت أكثر الحاضرين هل حفظوا الأربعين النووية؟ يقول: لا، ما حفظوها وانتقلوا إلى دراسة الكتب الكبار مثل نيل الأوطار أو سبل السلام أو فتح الباري، والأربعون النووية هي القاعدة.

(1) الظاهر يوجد قطع في الشريط.

أرجعكم إلى شيء؛ إلى الكتب التي ترجم فيها مؤلفوها لأهل العلم؛ كتب التراجم، انظر واقرأ ما تجد أنّهم ذكروا في ترجمة عالم أنّه قرأ كتابا كبيرا، مثلا ما تجد أنّه تُرجم للعالم الفلاني الجليل بأنّه قرأ فتح الباري، أو قرأ المجموع ونحو ذلك، ما تجده؛ لكن تجد في تراجمهم أنه يقول: حفظ مثلا الأربعين النووية، حفظ المُلحة في النحو، حفظ العمدة في الفقه، حفظ عمدة الأحكام. يذكرون مثل المختصرات لَمْ؟ لأمرين:

الأول: ليدلك أنّ طريق العلم هو هٰذا لا غير.

الثاني: ليُبين مكانة هٰذا العالم وأنّ علمه مرسخ مؤصل؛ لأنه ابتدأ بتلك المتون فأحكمها ودرسها على الأشياخ.

ما تجد أنّ فلانا قرأ فتح الباري، قرأ نيل الأوطار، ما تجد، ما فيه، ولا يثني على العالم بذلك؛ لأنّ هٰذه الكتب تعرف مسائلها التفصيلية إذا أحكمت.....[1] إذا كان ثَم وقت عالم خص طالب علم جيد بأنه جعله يمر عليه كتاب من الكتب المطولة، هٰذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

إذن في الحديث:

أولا تبدأ بحفظ الأربعين النووية حفظا لا غير، لابد تحفظها مثل الفاتحة، تحفظها وتمرُّها دائما، تحفظها، كل أسبوع لك ختمة فيها تختمها، حتى تكون واضحة عندك بعد ذلك تقرأ شرحا لها، وحبذا لو يكون على شيخ أيضا، وإنْ لم يكن فتقرأ شرحا وتضبطه وتسأل فيما أشكل عليك أحد العلماء.

كيف يكون؟ بعد حفظ جميع الأربعين النووية تبدأ في كلّ حديث تقرأ شرح النووي عليه، النووي مختصر، أكبر من النووي شرح ابن دقيق العيد، ثم يليه شروح كثيرة، ولكن أكبرُها شرح ابن رجب الحنبلي الحافظ المعروف.

تقرأ شرح النووي فإذا قرأته على حديث «**إِنّما الأعْمَالُ بالنّيات**»[2] تُغلق الشرح، تبدأ تشرح الحديث، هٰذا ينفعُك كثيرا إذا أردت أن تعظ في مسجد، لك أن تبتدئ من أيّ حديث من الأربعين النووية وأنت ضابط للشرح ثم تشرح فيما ضبطت، كافٍ ونافع للغاية، احتيج إليك لخطبة جمعة تأتي

---

(١) الظاهر يوجد قطع في الشريط.

(٢) **البخاري**: كتاب بدأ الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... حديث رقم (٠١).
مسلم: كتاب الإمارة باب قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما الأعمال بالنية وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال. حديث رقم (١٩٠٧).

مسجد فيه عدد من طلبة العلم كل واحد يقول للثاني: لا ما أخطب أنا يخطب الثاني. طالب العلم لابد عدته معه في كل مكان، أقل العدة أن يكون معك آيات مع إحكام تفسيرها؛ سورة العصر وتفسيرها، سورة الإخلاص وتفسيرها، وغيره أو الأربعين النووية مع إحكام شرحها، فلابدّ من قاعدة لك تنطلق منها، وستكون بإذن الله رائيا ومشاهدا لعظم النفع بحفظ الأربعين النووية مع إحكام شرحها؛ لأنها ضمت من السائل الشيء الكثير.

بعد ذلك تنتقل من الأربعين النووية إلى عمدة الأحكام في الحديث، بعد ذلك إلى بلوغ المرام، إذا الواحد حسّ من نفسه نشاط يقول: أنا أبدأ بالبلوغ حفظا، لا بأس، وإن لم يكن فعمدة الأحكام وبعد البلوغ يكفي؛ خلاص بركة ونعمة، لا مانع أن تقرأ في كتب السنة؛ صحيح البخاري صحيح مسلم وفي غيرها، لكن لا تقرأ فيها وأنت ما ضبطت تلك الأصول؛ لأنّه تأتيك أحاديث ما تعرف معناها أحاديث ربما يكون المعنى فيه شيء من التعارض، المسائل الفقهية المستنبطة منها ربما تعز عليك ونحو ذلك.

◆ **[رابعا]: الفقه:**

الفقه تبتدئ بعمدة الفقه لابن قدامة رحمه الله، ومن لم يكن في هذه البلاد يبتدئ بأي متن من المتون الفقهية في أي مذهب، لكن مذهب الحنابلة هو أقل المذاهب مخالفة، أو أقل المذاهب مسائل مرجوحة، فإنّ المسائل المرجوحة مثلا في متن زاد المستقنع قليلة، وأكثره راجح.

المقصود تأخذ متن مثل عمدة الفقه، تأخذه وتضبط مسائل كل باب، مثلا تمرّ على باب المياه، باب المياه تمرّ عليه مرة سريعة فتعرف تقسيمه في الباب، ووش بدأ؟ وش انتهى؟ ما مسائله؟ ثم بعد ذلك تبدأ تقرأ فيه على معلم، هذا لابد منه، إذا لم يتيسر تقرأه على نفسك، أو تقول: والله إنّي رجل تقدمت بي الأمور، يشار إليّ بالبنان، مدرس كذا، صعب أني أحظر، بعضهم يقول: صعب أنّي أحضر على شيخ أو نحو ذلك، لا، تقرأ وتسأل عما أشكل عليك.

كيف يُقرأ الفقه؟ هذا سؤال مهم، كيف يُقرأ الفقه؟ -تعذروننا الكلمة منهجية قد تكون مملة في بعض الأحيان- نرجع للسؤال: كيف يقرأ الفقه؟ كثيرون يقرؤون الفقه دون أن يعلموا كيف يقرأ الفقه، الفقه ليس كالتوحيد، فالتوحيد تصور مسائله سهل؛ مسائل الصفات فيها إثبات فيها تأويل، تأولوا العلو إلى كذا؛ إلى علو القدر علو القهر، تأولوا الاستواء إلى كذا، واضح؛ تصورها واضح، لكن الفقه تصوره ليس بالواضح، فهم صور المسائل لئلا تشتبه بمسائل أخر ليس بواضح، فيحتاج منك درس الفقه إلى أناة أولا.

تتعامل مع هٰذا المختصر بالسؤال والجواب، كيف؟ تقول مثلا: المياه ثلاثة أقسام. تــأتي تخاطــب الشرح أو تسأل السؤال غير مخاطِب تقول: كم أقسام المياه؟ أقسام المياه ثلاثة، الأول: هو الطهور، ما تعريفه؟ يأتي، تلاحظ أنك في هٰذه الأسئلة إذا مرنت يكون الجواب بعد سؤاله، ما تعريفه؟ يقول لك: هو الماء الباقي على أصل خلقته مثلا. أو كما يقول غيره هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره، إذن سألت وهو أجاب، تعاملت مع كتاب الفقه كأنه معلم، تسأل أنت وهو يجيب، إذا أتى احتراز أو شــرط تسأل بالأسئلة المناسبة تقول مثلا، إذا قال الماء الباقي على أصل خلقته تسأل تقول: مطلقــا؟ وهــو يجيبك يذكر لك الحالات هل خالطه ممازج أم غير ممازج ...الخ، تبدأ أنت تسأل وتقسّــم، تســأل وتقسّم، تسأل وتقسّم.

والعلم في الفقه إنما هو بشيئين هما:

أولا: بالتصور.

ثانيا: بالتقاسيم أنفع شيء لك في الفقه التقسيم، تقول هٰذه تنقسم إلى كذا وكذا.

الأشياء العارضة على الماء الباقية على أصل خلقته قسمين: ممازجة وغير ممازجة، طيــب، مَثِّــل للممازجة كذا وكذا، هو يمثل لك الشارح يعني نفس الماتن ابن قدامة في العمدة يمثل لك هو بَــسْ أنت اسأل وتجد التمثيل أمامك، تجده ممثلا.

انتهيت من أول قسم الماء الطهور.

لا تهتم في درس الفقه بالراجح، بالدليل، لا؛ لا تهتم بهٰذه، ما يراد منك أن تكون مفتيا، الذي يهتم بالراجح وبالدليل هو المفتي، إنما أنت الآن متعلم يُراد من درسك الفقه أن تتصور المســائل الفقهيــة وتفهم تعبير أهل العلم في الفقه، مثلا: مختصر الزاد، الزاد تعرفونه الصغير يحوي ثلاثين ألف مســألة كيف كل واحدة نعرفها بدليلها وراجح ومرجوح منها، نكون ما أمضينا وما فهمنا الزاد ولــذلك الآن قليل من شرح الزاد من العلماء؛ لأن الطريقة التي يستعملها العلماء السابقون في الشرح والــتي نفعت الطلاب وأخرجتهم أهل علم ليست هي الموجودة الآن، تفصيلات وتعلــيلات، تفصــيلات وتعليلات، ويطول الكلام في مسألة واحدة ولا يراد من طالب العلم أن يتصور في المسألة كل ما قيل عنها، إنّما تتصور شيء؛ المسألة وحكمها بناء على هٰذا المذهب.

إذا انتهيت من القسم الأول من أقسام المياه، تغلق الكتاب وبنفس الطريقة تأتي تعيد، تعيد هٰــذا القسم وتشرحه، تلاحظ إذا كان فهمك مشرقا تلحظه من نفسك، وإذا كان فهمك مغربا فتلحظــه من نفسك وشتان بين مشرق ومغرب.

ســـارت مشـــرقة وســـرتُ مغربـــا شـــتان بـــين مشـــرّق ومغـــرّب

تعيد؛ إذا حَسِّيت أنك ما فهمت تعيد، تسأل أهل العلم ونحو ذلك.

المعلم الذي يعلمك في المسائل التي يعلم أنّ الفتوى بخلاف ما ذُكر في هٰذا المتن، المعلم الربـــاني يذكرك بها، يقول: هٰذا والفتوى على خلافه، القول الراجح هو كذا، ليس القول الـــراجح في كـــلّ مسألة بما يترجح للمعلم، لا، لكن القول الرّاجح بما عليه المفتون، الذين يفتون من أهل العلم الكبار، يربطك بين كتاب الفقه وبين الفتوى، يجعل فيه الصّلة بينك وبين هٰذا وهٰذا، كان أهل العلم عندنا في تدريس الزاد يذكرون الأشياء التالية –كانوا يهتمون بالزاد، العمدة هٰذه إنما لأجل ضـــعف الهمـــم نذكرها إنما الأصل البداية بالزاد– يذكرون.

- أولا صورة المسألة.
- حكمها، حكمها يعني بناء على ما ذكره صاحب الكتاب.
- هل لشيخ الإسلام ابن تيمية أو تلميذه ابن القيم أو أحد من أئمة الدعوة، هل لهـــم اختيـــار مخالف؛ لأنهم نخلوا المذهب، فالمسائل المرجوحة بينوها.

نقول مثلا في المياه ثلاثة أقسام يقول لك المعلم: واختار الشيخ تقي الدين –يعني شيخ الإسلام أنّ المياه قسمان–، ما تحتاج تفصيل في كل مسألة ولا تعليق، المسألة التي فيها قول لشـــيخ الإســـلام في الفقه أو لأحد أئمة هٰذه الدعوة الذين حققوا ودققوا يذكرها.

المعلم يحتاج إلى معرفة ما عليه الفتوى فيقول لك يفتي الشيخ الفلاني مثلا يفتي سماحـــة الشـــيخ عبد العزيز حفظه الله وأمتع به بكذا في المسألة يربطك، هٰذا الذي تحتاجه، أما نـــأتي عنـــد مســـألة نقول: هٰذه دليلها كذا واستدلوا لها بكذا، وهٰذا الدليل أخرجه فلان وفلان وفيه الراوي الفلاني فيـــه علة ولا يصح الاستدلال، والقول مرجوح والصواب قول الشعبي وإسحاق والشافعي. هٰذا في المسائل ما يحتاج لكن طالب العلم الذي يعرف هٰذه المسائل ويتحملها يقرأها في الكتب المطولة لـــيس كـــل كتاب قرأت منه أو حضرت آتي وأعطيك المعلومات، فمعناه أنّي أستعرض ما قرأت هٰـــذه ليســـت طريقة أهل العلم.

إنما طريقة أهل العلم أن يعطيك ما ينفعك، هكذا في سائر الأبواب في الفقه، كل باب تمر عليـــه على هٰذه الطريقة، إذا ضبطت المسائل بتصورات، تأتي أنت مع مرور الزمن تكون القاعدة قد بنيت، المسألة هٰذه مرجوحة راجحة دليلها القول المخالف تنبني معك مع الزّمن، يأتي كل ركن في مكانـــه الصحيح، تنبني؛ يبدأ البنيان معك يرتفع ويرتفع؛ تتصور المسائل.

في البداية يكون عشرة في المائة فاهمها؛ فاهم أدلتها، تصورت المسائل، بعد سنة تلاحظ أنها خمسة عشر في المائة، بعد سنتين عشرين وهكذا مع الزمن.

أما الطريقة الموجودة اليوم يأتي طالب العلم عنده في مسألة تفصيل ساعة، تسأله في مسائل أخرى في الفقه ما عنده علم بها هذا خلل في طلب العلم، شمولية و بعد ذلك تبدأ تُنمي تنمي حتى يكبر.

على نفس الطريقة تسير في العلوم المساعدة، انتهينا من العلوم الأصلية تسير في العلوم المساعدة على نفس الطريقة تبدأ بالمختصرات ثم تترقى شيئا فشيئا.

وذكرت لك أن من العلوم **التاريخ** يدخل فيه سيرة النبي ﷺ، وسيرة ابن هشام فيها كفاية في ذلك، كذلك يدخل فيه أنواع التاريخ هذه علوم التي هي المُلح تقرأ ما شئت من ذلك، العلوم المساعدة لابد من العناية بها؛ أصول التفسير أصول الفقه، أصول الحديث الذي هو المصطلح، والنحو ولا علم بدون نحو يقول الشاعر الذي هو ابن الوردي:

جمّل المنطقَ بالنحو فمن يحرم الإعراب بالنطق اختبل

طالب العلم تجد كلامه مكسّر، هذا لا يصلح؟ ما يصلح، كيف أنا أأتمنه على فهم معاني الكتاب والسنة وهو لا يفهم النحو؟ ليس مؤتمنا في الواقع، لأنّه سيكون مقلد ينقل لكن يأتيني في مسائل يجتهد فيها وعبارته أصلا عربيته ليست بجيدة ما يفهم اللسان العربي، هذا لا شك أنّه خلل، لابد من العناية بالنحو، والنحو عمدته الإعراب، تقرأ على شيخ ثم تُعرب ما شئت، أي شيء يقابلك أعربه، تقرأ خبر في الجريدة أعربه، سورة تقرأها من القرآن أعربها، حديث أعربه، هذا يخلصك، يبين النحو عندك طلاسم وإلا بدأت تشارك فيه.

الآن من كبار العلماء كان يأتي يسأل في الإعراب، لابد من مجالس أهل العلم الذي يدرس فيه النحو والعلوم الأخرى لابد يسأل، ما إعراب قوله تعالى كذا؟ ما إعراب الجملة الفلانية، ينشطون مع الإعراب، إذا ترقى وحفظوا الألفية فيأتي بالإعراب وبالدليل، مثلا يقول: محمد قادم، محمد ما إعرابها؟ قال: مبتدأ. –دروس النحو هذه مَا هِي موجودة الآن راحت، والله المستعان– يقول المعلم: قلتَ مبتدأ ما الدليل يقول قال ابن مالك في الخلاصة:

مبتدأ زيد وعاذر خبر إنْ قلت زيد عاذر من اعتذر

ذكر لك الدليل من البيت، مثلا لو قلت: الآية ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾[النحل:٦٠]، هنا يقول: ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، –صحيح؟– لابد له في صلته من عائد يعود له، أين العائد؟ يقول: الطالب العائد محذوف. يسأل المعلم ما الدليل؟

يقول: قول ابن مالك:

.... **والحذف عندهم كثـــير منجـــل**

في عائـــد متصـــل إن انتصـــب بفعل أو وصف كمـــن يرجـــو يهـــب

قال الدليل، هٰذا يربط لك بالنحو تماما، لكن هٰذه الطريقة ليست موجودة الآن.

المقصود من هٰذا نختم الدرس بالوصية بالجد في طلب العلم، وأن تحرصوا على المنهجية، والأمـــة اليوم بحاجة إلى علماء، إلى طلاب علم، لأنه أين الموجهون؟ يوجهون الناس بالآراء بالأفكار بالثقافات بالمفاهيم؟ لا؛ إنما يوجه بالعلم؛ العلم الراسخ، يقول، يستحضر دليله، يفهم أصول المسألة وكلام أهل العلم عليها، حتى يسير الناس على بينة، ونحن بحاجة إلى طلاب علم اليوم، والطلاب الراغبون في العلم كثيرون؛ لكن طلاب العلم قليلون، من هم طلاب العلم؟ هم الذين يسيرون علـــى وفـــق الطريقـــة الصحيحة التي سار عليها من كان قبلنا من أهل العلم، وهي هٰذه الطريقة التي ذكرتُ لك.

وإن أنت طبقتها فستكون منتفعا بإذن الله أكبر الانتفاع تحس في نفسك في سنَة أنك تغيرت تغير واضح، وأحسست من نفسك أنك طالب علم بدأت تفهم، وإن أهملت وحضرت ورحت وجئـــت وما أصلت، فإنك ستحرم بقدر ما أخللت بذاك.

أسأل الله أن ينور قلبي وقلوبكم بالهدى والاستقامة، وأن يجعلنا من طلبة العلم الذين يخشـــونه، وأنْ يجعلنا للناس أئمة هدى يرشدون من ضل إلى الهدى ويحيون بكتاب الله الموتى، وأســـأله لكـــل واحد حاضر معنا أن يكتب الله جلّ وعلا له خير خاتمة في حياته، وأن ييسر لنا الخير أينما كنا، وأن لا يكلنا لأنفسنا طرفة عين، وأن يأخذ بأيدينا إلى كلّ قول أو عمل يحبه ويرضاه إنّه ولي ذلك والقادر عليه.

و﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّـــهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الصافات:١٨٠-١٨٢]، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



فهرس

